النعمة والحق
2014
9-10
Sep
Oct

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الثانية والعشرين

سبتمبر وأكتوبر ٢٠١٤

العدد ١٣١

في هذا العدد :

افتتاحية العدد	يا إلهي .. هل أنا في ورطة	١
موضوع العدد	مزامير التوبة	٢
موضوع العدد	ترانيم حزينة من قلب تائب	٨
موضوع العدد	التماس التائب	١٥
الأخبار السارة	توبة بلا رجع	١٨
شخصيات ومواقف	حياة صموئيل	١٩
شخصيات ومواقف	حياة بطرس	٢٢
تأملات هادئة	كفاية المسيح	٢٩
من روائع الكلمة	الحياة الأبدية	--

التوبة هي أول وأهم اختبار روحي على الإطلاق

❁

اقرأ الأخبار السارة ص ١٨

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ١٠ جنيهات، أو ما يوازي ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: gtmag@ilovejesus.net
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١ - الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملا.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢٧٤٠٣٥ - الإسكندرية (٠٣).

يا إلهي.. يا إلهي... هل أنا في ورطة؟

عزيزي القارئ :أتذكُر أيام الطفولة عندما كنت عنيدًا؟ سواء شعرت بالاستياء أو بخوف قبل أن تواجهه، فمن المرجح جدًا أن الأخطاء تمثل عبئًا ثقيلاً، عندما يبدأ شخص بالغ مسئول أن يسأل نفسه بلهجة صارمة "ماذا فعلت"؟ بشعور بالصواب أو بالخطأ وتبدأ في إعطاء اجابة تؤدي إلى الاعتراف بدلًا من الإنكار. وبالرغم من أننا نحن المؤمنين، قد وضعنا ثقتنا في الرب ونحن نعلم أن الله يرانا كاملين في ابنه، إلا أن سلوكنا في العالم لا يزال متأثرًا بالإنسان والخطية الموجودة في داخلنا، فنحن لدينا الرغبة في أن نكون أفضل، ولكننا لازلنا نفعل الخطأ، بينما نريد الصواب ، تخبرنا رسالة العبرانيين لماذا فعل أبونا السماوي هذا «وَقَدْ نَسِيتُمُ الْوَعْظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ:«يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ. لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ».إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ. ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلاَ نَخْضَعُ بِالأَوْلَى جِدًّا لأَبِي الأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا؟ لأَنَّ أُولئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هذَا فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ. وَلكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرّ لِلسَّلاَمِ». (عبرانيين ١٢: ٥-١١). هل لاحظت أنه يؤدبنا لأنه يحبنا، لأننا أبناءه، لأنه يجب أن نخضع له لأن ذلك لخيرنا. في مقالات هذا العدد من سفر المزامير من منظور شخص طالب الله وقد فعل أشياء خاطئة وأدبه الرب، "مزامير التوبة"، حيث أن الخاطي قد واجه خطيته وبدء في عملية الاعتراف والتوبة، ولا يقودنا ذلك فقط إلى استرجاع العلاقة ، ولكن إلى تقدير عظيم لمحبة الآب حيث تستمتع بها. ليشجعنا الرب، طالما نحن معه ونتشبه به.

مزامير التوبة

ماذا تبدو التوبة؟ البعض قد يُصورها ركوع الخاطئ وبكاءه وهو يقوم بالاعتراف، وقد يعتقد البعض الآخر أنها أمثلة من الكتاب المقدس، مثل صلاة العشار في الهيكل أو دموع الرسول بطرس بعد أن أنكر سيده ولكن أيًا كانت الصورة التي تتبادر إلى ذهنك، فمن المحتمل أن أفكارك سوف تشعر بحزن عميق على وجه الخاطئ، هذا الحزن هو جزء من العمل الفني والشعر من المزامير وعليه فإن القارئ قد يجد كل العواطف من الفرح إلى اليأس، كتب J.G.Bellette "في المزامير يتم تقديم الحقيقة مع أهواء النفس" وبالتالي إن تجارب التوبة يمكن العثور عليها في سفر المزامير.

مزامير التوبة: كمجموعة محددة من هذا النوع وتسمى مزامير التوبة، فمنذ القرن السادس عشر وقد جرت العادة على تحديد ٧ مزامير كجزء من هذه المجموعة، هناك بالتأكيد مزامير أخرى تميزت بتعبيرات مماثلة، وحتى بين هذه ال٧ مزامير هناك مستويات مختلفة في العمق من حيث الاعترافات الشخصية، كما كتب المُفسر C.H Bollok " ليست كلها للتوبة ولكنه يُضيف " أن نبرة ال٧ مزامير هي مزامير للتوبة"، ومع ذلك هي واحدة من التقديمات إلى الله وهي ضرورية لمن يسعى لطلب الغفران وهذه المزامير هي مكان انطلاق جيد لموضوعنا.

من المهم أن نعرف أن كلمة "توبة" تستخدم أحيانًا في سياق "فعل التوبة" مُشيرًا إلى أعمال الخلاص ومن المُفترض أن تشير إلى الحزن على الخطايا التي أرتكبت وتخضع هذه التوبة إلى مجموعة من القواعد (والتي بدأت أيضًا في القرن السادس) وذلك من أجل خطايا معينة ومحددة والقواعد مثل قراءة المزامير والصوم وانكار الذات، ومع ذلك أن فكرة التوبة على أنها طريقة لدفع ثمن الخطية هي متناقضة وبشدة مع الكتاب، أعمال التضحية هي في حد ذاتها غير كافية لدفع ثمن الخطية (مزمور٥١: ١٦ -١٩) و(عبرانيين ١٠: ١٠ -١٨)، يؤكد موت يسوع المسيح على أنه دفع ثمن خطايانا وهي فريدة من نوعها ونهائية من نوعها (عبرانيين ١٠: ١٢ - ١٨).

ومع ذلك يرغب الله بالحفاظ على علاقتنا معه وذلك عن طريق الاعتراف والتوبة (١يوحنا١: ٩)، (رؤيا ٣: ١٩)، هذه الاستجابات تدل على أن الشخص التائب يؤكد ذلك من خلال هذه المجموعة من المزامير وكذلك في مقاطع أخرى في الكتاب المقدس هنا إذًا لمحة موجزة عن هذا المجموعة التقليدية لمزامير التوبة:

- **مزمور٦**: كتب داود لإمام المُغنيين، معبرًا عن صرخته للرحمة في وسط الحزن.
- **مزمور ٣٢**: "أسس أو تأملات" مزمور لداود واصفًا لفرحة القبول والغفران وقد كتب هذا المزمور ربما بالارتباط مع حزنه على خطاياه التي تشمل بثشبع وأوريا (٢صموئيل١١: ٢).
- **مزمور ٣٨**: مزمور لداود كذكرى عن ذنبه واستجابة الله.
- **مزمور٥١**: فهو مزمور أخر لإمام المغنيين مرتبط عنوانه باعترافات داود بعد خطيته مع بثشبع و قد كشفت.
- **مزمور١٠٢**: "صلاة النكبة" والتي فيها حسرة بسبب أعدائه.

مزمور١٣٠: ترنيمة صعود معبرًا عن أمله في غفران الرب.

مزمور١٤٣: مزمور فيه يرغب داود خلاص الله ومحبته ورحمته.

عبء الخطية: خمسة مواضيع تظهر ونحن نقرأ المزامير تشكل رحلة الحزن والتوبة، والإصلاح.

الموضوع الأول: هو عبء الخطية، فقد كان الشائع دائمًا للناس تبرير أنفسهم أمام قوانين الله ونحن كذلك، نعطي تفسيرات لفشلنا وتعدياتنا وندرب ضمائرنا لقبول أو تجاهل خطايانا، مما يجعل نفوسنا في راحة. ولكن الخطية هي مثل عفن الفاكهة فإنه يستهدف الداخل حتى وإن كان الخارج يبدو أنه لا تشوبه شائبة، قال داود أن خطيته قد يبست قوته «لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ». (مزمور٣٢: ٤)، وقال إنه بليت عظامه (مزمور ٦: ٢؛ ٣٢: ٣؛ ٥١: ٨) لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ جِهَةِ غَضَبِكَ. لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلاَمَةٌ مِنْ جِهَةِ خَطِيَّتِي. لأَنَّ آثَامِي قَدْ طَمَتْ فَوْقَ رَأْسِي. كَحِمْلٍ ثَقِيلٍ أَثْقَلَ مِمَّا أَحْتَمِلُ. قَدْ أَنْتَنَتْ، قَاحَتْ حُبُرُ ضَرْبِي مِنْ جِهَةِ حَمَاقَتِي. (مزمور٣٨: ٣-٥)، إنها مذهلة للنظر في الآثار الحادثة من الخطايا من خلال أجسامنا أو مشاعرنا، ولكن غالبًا ما تكون هذه هي حالة من يفهمون فظاعة الخطايا البشرية بصورة أكثر وضوحًا؛ فإن عبء الخطية يؤثر علينا روحيًا حيث تشكل حاجز يُبقينا بعيدًا عن الله وفي حزن الروح القدس (مزمور٦: ٣)، ويسأل المرنم «نفْسِي قَدِ ارْتَاعَتْ جِدًّا. وَأَنْتَ يَا رَبُّ، فَحَتَّى مَتَى؟».

إن الفكرة السائدة هي أننا عمومًا لسنا أشخاص سيئين لنظهر بصورة مثيرة للسخرية عندما نفكر في كم الخطايا التي ارتكبناها، لا سيما بالمقارنة مع قداسة الله، وإن تقدير الأثم مرتبط بخطايا وأفعال محددين (مزمور٥١: ٥) تدل على أننا نميل للخطية. ونصير غير قادرين بمفردنا ويائسون في العودة إلى الله بمفردنا.

ومع ذلك بعد اعترافنا بخطايانا، يمكننا أن نبدأ بإدراك أن الله يؤدبنا، لكي نعود إليه، فإن المزامير تحتوي على إشارات مختلفة لأعداء صاحب المزمور (مزمور٦: ٧؛ ١٠٢: ٨؛ ١٤٣: ٣)، وهي تزيد من بؤسه، ولكن يبدو أن الله قد استخدمها لكي يجعله يبكي إلى الرب، مرتين يسأل داود الرب ولم ينتهره الله أو يستاء منه أو يؤدبه (٦:٢١؛ ٣٨: ١)، مما يدل على وعيه أن من حق الله القيام بذلك « لأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَارًا وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبَتِي إِلَى يُبُوسَةِ الْقَيْظِ».

عندما ندرك أننا لم نفعل شئ ولكننا قد أساءنا فعلًا إلى الله. (مزمور٥١: ٤)، فيجب علينا أن نخطو خطوة أخرى على طول الرحلة مع الله وهذا ما تضعه أمامنا هذه المجموعة من المزامير.

الخطوة التالية هي الاعتراف. فقبل أن نصل إلى التوبة، فهناك لحظة عندما نتفق مع الله على أننا خطاه، فاعترف داود «أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي». (مزمور٣٢: ٥)، وهذا هو صدى التأديب الذي يرغبه الله، بدلًا من إخفاء الخطية أو تبريرها بطريقة خاطئة، واعترف داود بذنبه (مزمور٣٨: ١٨)، ويمكننا تقليد مثاله عندما نأتي إلى الله بقلب منسحق وتائب بدلًا من تبرير أنفسنا (مزمور ٥١: ١٧).

ما وراء الاعتراف: قد يكون من الصعب جدًا أن يصل التائب إلى هذه النقطة، فهي تحتاج الكثير من التواضع والمعاناة واستبدال الثقة بالنفس إلى الحزن على خطيتي. (مزمور٣٢: ٥؛ ٣٨: ١٨؛ ٥١: ٣) فنحن من الطبيعي أنه لدينا تفضيل قوي إلى السرية والتستر تمامًا كما فعل داود قبل أن يعترف، هذا فقط لأن الله قد أرسل ناثان النبي ليفضح تلك الخطية.

ومع ذلك وبمجرد وصولنا إلى هذه النقطة، يكون من الصعب أيضًا التقدم إلى ما هو أبعد من ذلك، ويحدث ذلك عن طريق الحزن على خطايانا السابقة ونفقد تقدير

الخطوتين السابقتين وهما الغفران والعودة، ولكن شكرًا لله الذي يفعل كل شيء لجعل هذه الخطوات ممكنة، ولكن من المهم أن نؤمن أنه يريدنا أن نعرف أن غفرانه لا يقوم على استحقاقنا أو أهليتنا ولكن على عمل المسيح الكامل (أفسس١: ٧؛ ٤: ٣٢). وأن نتائج الغفران تجلب الفرح العظيم، وقراءة كلمات داود في مزمور (٣٢: ١- ٢) «طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ. طُوبَى لِرَجُل لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً، وَلاَ فِي رُوحِهِ غِشٌّ». الغفران هو جزء من شخصية الله (مزمور١٣٠: ٤)، ومزمور ٥١ يصف لنا أننا قد غُسلنا وتطهرنا و تم محو خطيتنا (مزمور٥١: ١) وذلك بسبب فداء الرب الثمين (مزمور ١٣٠: ٧-٨)، وهو قادر تمامًا على تحريرنا من سلطان الخطية ومغفرة المسيح تقودنا إلى أن نُقدر علاقتنا معه مزمور(١٣٠: ٤) يُشير إلى أن مغفرة المسيح هي التي تعيننا أن نكون في علاقة معه، فكل مزمور عن التوبة يُسلط الضوء على أمل استعادة علاقتنا بطريق أو بآخر، في انتظار استجابة الرب لصرختنا لمعونتنا ضد الخطية (مز ٦:٩ -١٥:٣٨) ونوال الفرح ورجاء الخلاص (مز ٥١:١٢-١٣٠:٥) وترنيمات التسبيح لخلاصه (مز ١٠٢:١٨) ونسأله لنعمل رضاه (مز ١٤٣:١٠).

لا يمكن المبالغة في كمال هذه العلاقة، فالله نفسه يقودنا إلى الاقتراب منه، ويقدم لنا ارشادات في طريقنا ويطلب أن نراه عن قرب لكي نشعر برعايته بعينيه من نعمته العظيمة بالمقارنة مع ما يجري من تحكم في الفرس أو البغل (مزمور ١٣٢: ٨-٩) فعندما نقارن هذه العلاقة بصرخات الخاطئ في بداية تأملنا في هذه المزامير، قد نتساءل إذا كانت تلك الصرخات يمكن أن تكون من نفس الشخص ولكن الغفران من الله واستعادته لنا تقوم على شخصيته هو وليس لاستحقاقنا الشخصي، وبالتالي يجب أن تكون لدينا ثقة أن الله بالفعل قد غفر لنا وحفظنا له وفي لغة العهد الجديد أولئك الذين وضعوا ثقتهم في المسيح كالمخلص يقولون «إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رومية٨: ١).

دروس العهد الجديد: يقتبس العهد الجديد كثيرًا من المزامير على سبيل المثال، يتم استخدام التطويب بالغفران ووصفها في مزمور٣٢ لتعليم مبدأ التبرير بالإيمان في (رومية ٤: ٥-٨)، وبر الله في (مزمور٥١: ٤).

وفي صدد ذلك، فإنه لأمر جيد أن ندرك أن ليس كل سطر من المزمور ينطبق على المؤمنين اليوم على سبيل المثال: التعبير عن التوبة الجماعية للشعب أو طلب الانتصار على الأعداء هي ذات صلة وثيقة بتلك الأمة. وسوف نجد العديد مثل هذه التعبيرات التي سيتم إنجازها حرفيًا، ولكن ليس مناسبًا أن نتوقع أن يحكم الله على أعدائنا بنفس الطريقة. مثال أخر هام وهو صلاة داود في (مزمور٥١: ١١) يقول « لاَ تَطْرَحْنِي مِنْ قُدَّامِ وَجْهِكَ، وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لاَ تَنْزِعْهُ مِنِّي». في حين كانت هذه الرغبة مناسبة في وقت داود عندما كان الروح القدس يأتي مؤقتًا على أفراد من المؤمنين، وهذا ليس شرط، اليوم يجب على المؤمنين أن يراعوا الروح القدس الساكن في كل المؤمنين في هذا العصر من الكنيسة وفقًا لكلام المسيح «رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ». (يوحنا١٤: ١٧).

على الرغم من أن خطايانا بالتأكيد تحزن الروح القدس، وقد أُعطي لنا حتى يوم الفداء، عندما سنؤخذ إلى السماء (أفسس٤: ٣٠).

وبالرغم من هذه الحدود فان هذه المزامير توضيح التعبيرات عن من نحن؟ والأهم من هو الله؟ عندما يتعلق الأمر بمزامير التوبة قد نتعاطف مع الحزن العميق على خطايانا. ولكن صلاح الله يقودنا إلى التوبة واستعادة العلاقة ونحن نمشي معه طول الطريق.

ترانيم حزينة من قلب تائب

في عبرانيين ١١ يقدم روح الله قائمة بنخبة العهد القديم الذين كان إيمانهم سائدا في وسط أسوأ الظروف، والآن عندما ندرس حياة هؤلاء النخبة نجد أن هناك أوقات تصرفوا فيها مثل أقل جميع القديسيين في الواقع، فبعض هؤلاء النخبة ارتكبوا خطايا صادمة، حتى بمعايير الشر الحديثة.

فماذا عسانا نقول عن "نوح" (تكوين٩: ٢١)؛ "إبراهيم" (تكوين١٦: ٣)؛ "سارة" (تكوين١٨: ١٢، ١٥)؛ "موسى" (عدد٢٠: ١١)؛ "شمشون" (قضاة١٦: ١)؛ "جدعون" (قضاة٨: ٢٧)؟ هذه نماذج في الكتاب فشلوا فشلا غير متوقع من الأصدقاء المُفضلين لدى الله، حتى وإن فشلوا فنعمة فقط الله سوف تحفظنا، فهو الذي لا يفشل فينا.

ماذا يمكننا أن نتعلم عندما نجد أن داود يذكر ضمن من تم ذكرهم في (العبرانيين١١: ٣٢)، كيف هذا المدح بعد مقارنة مع اعترافاته بالخطية في المزامير٦؛٣٢؛ ٣٨؛ ٥١؟ أليس هذا هو خادم الرب الذي زنى مع زوجة جاره ثم قتله بعد ذلك عندما كان هناك في الناموس أن يموت الزاني مهما يكن! ماذا يمكننا أن نقول سوى «طُوبَى لِلَّذِي غُفِرَ إِثْمُهُ وَسُتِرَتْ خَطِيَّتُهُ. طُوبَى لِرَجُل لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً، وَلاَ فِي رُوحِهِ غِشٌّ». (مزمور٣٢: ١-٢).

التلمذة اليومية: على الرغم من أن موت المسيح قد سترنا إلى الأبد، إلا أنه يجب أن نغفر خطايانا إذا كنا نريد الحفاظ على علاقتنا دون انقطاع مع الآب وابنه يسوع المسيح، فيخبرنا الوحي «كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ». (١يوحنا٣: ٩)، ولكن في الحياة العملية في التلمذة الروحية «إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا». (١يوحنا١: ٨)، «ولكن إِنْ قُلْنَا: إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ». (١يوحنا١: ٦).

لقد اختبر داود هذه الطريقة في (مزمور٣٢: ٥-٦)، وبعبارة أخرى، أنه يمكن للتلميذ التحدث مباشرة مع الله في خلوته الخاصة، والاعتراف بالخطايا يؤدي إلى الغفران، أما في حالة الخطايا الجسيمة فإنه ينبغي الاعتراف علانية في هذه الحالة على أقل تقدير، يجب على من أخطأ أن يتكلم مع الأخوة و الأخوات، (وأيضًا يتعلق الأمر بقوانين الأرض).

أما في حالة داود فإن زناه ببثشبع جنبًا إلى جنب مع قتله لأوريا هذه كلها انتهاكات للقوانين، وبالتوازي لذلك يسرد بولس العديد من الخطايا التي يجب فيها أن تؤدب الكنيسة المخطئ (١كورنثوس٥: ١١؛ ٦: ٩-١١؛ أفسس٥: ٥)، وبعبارة أخرى لا يمكن تطهيرخطية داود بالزنى والقتل كاملًا إلا عن طريق معاقبته علنًا، بينما مزامير التوبة هي ضمانة للغفران، كان يجب على داود أن يتحمل العواقب الزمنية لخطاياه، ولقد أثر ذلك لى علاقته مع الله ولهذا السبب أبعده الله عن القصر لفترة، وخلال هذه الفترة انقطع داود عن تقديم ذبائح على مذبح المحرقة، قما حدث قديمًا عندما طردوا آدم وحواء فلقد ألبسهم الله لباسا ولكن من طبقات الجلد وأُخرجوا من جنة عدن (تكوين٣: ٢٤)، ونحن نعلم أيضًا أن الرجل الكورنثوسي قد عانى من الطرد بسبب توبته (١كورنثوس٥: ١٣؛ ٢كورنثوس٢: ٧).

التأديب الزمني:

على الرغم من فشل داود، إلا أن جميع خطاياه قد غُفرت ولكن لا يوجد غفران لمن يرفضون التوبة والاعتراف بالفشل، لم تكن أمانة الملك هي التي جنبت العار للعامة، ولم يعتر داود بخطيته إلا بعد أن أدانه ناثان النبي من فم داود نفسه (٢صموئيل١٢: ٥-٧).

وبعد ذلك حذر النبي ناثان داود من العقاب الزمني الذي يجب أن يتحمله، إذا كان يريد أن تكون حياته نقية، وهكذا تصف مزامير التوبة مآسي القديس الغير طائع، في حين أنه لا شك في خلاص داود الأبدي، لقد فقد فرحه لفترة، ولكن كان يخاف أن تؤخذ منه روح الله (مزمور٥١: ١١-١٢)، حيث أنه كان في العهد القديم لم تكن بركات القديسين مختومة بختم الروح القدس الغير قابل للفقدان (أفسس١: ١٣)

وكان وجود الروح متوقفًا على الطاعة والإخلاص (قضاة١٤: ٦؛ ١٦: ٢٠). لم يكن يشعر الملك داود بضرورة المغفرة، بل كان يدافع عن جريمته حتى أصبحت حديث المدينة، ولكن إذ كانت الفضيحة علانية، فان ندمه سيكون في العلن أيضًا.

والغريب هنا أن المرتل الملكي لم يعترف بذنوبه في أول ثلاث مزامير من مزامير التوبة، وامتنع داود عن وصف خطاياه، لا شك أنه بعد ذلك اعترف هو نفسه بخطيته لله وسعى لكي ينال الغفران الله ويقول« أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: «أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي» وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي». (مزمور٣٢: ٥).

وبالتأكيد كان لدى الرسول يوحنا هذه المبادئ عندما كتب «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ». (١يوحنا٤: ١). وبعبارة أخرى أولئك الذين يعترفون بخطاياهم لله يضمنوا كل من المغفرة والخلاص.

التبرير الذاتي:

في حين أنه يجب علينا أن نعترف بخطايانا، لكن لا يجب أن نلوم الآخرين لكي نبرر أنفسنا، (تكوين٣: ١٢-١٣). ولا أن نرد باستفزاز بدافع الاجابة، وبعبارة أخرى الأفعال الشريرة التي تفعل في حرارة الغضب والشهوة تحتاج إلى غفران مهما كانت الظروف مأساوية أو كان الأمر استفزازي، فنحن بحاجة إلى التطهير من خطايانا، وبحاجة أيضًا إلى التدريب عمليًا، كما في سفر (الخروج٣٢).

أما بالنسبة لأولئك الذين يقوموا باستفزازنا فهذا رد الله لهم وَأَمَّا بَنُوهُمْ فَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ، بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الشَّرِيعَةِ فِي سِفْرِ مُوسَى حَيْثُ أَمَرَ الرَّبُّ قَائِلاً: «لاَ تَمُوتُ الآبَاءُ لأَجْلِ الْبَنِينَ، وَلاَ الْبَنُونَ يَمُوتُونَ لأَجْلِ الآبَاءِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ لأَجْلِ خَطِيَّتِهِ». (٢أخبار الأيام٢٥: ٤)، في حين أننا أُومرنا أن نحب جيراننا، إلا أنه مسموح لنا أن نكره أنفسنا تمامًا عندما نتذكر فشلنا المُخزي (حزقيال٢٠: ٤٣)، وعلى الرغم من أننا قد لا نسامح أنفسنا عندما نخزل الله، يجب علينا دائمًا مسامحة الآخرين المخطئين في حقنا (متى٦: ١٢؛ ١٥؛ ١٨: ٣٥).

لا تحكموا:

وحتى مع ذلك، فإن بعض الأشخاص المتشددين سيسألون سريعًا " من المؤكد أن المفديين الذين يعلمون أكثر ستكون مسامحتهم أقل من الذين لا يعرفون الرب؟ كيف يمكن أن يكون هذا؟ إذا كان الله يسامح الذين لم يفعلوا أي شئ حسن، هل سيفشل في مسامحة أولئك الذين بعد سنوات من الخدمة وقعوا في الخطية؟ إذا كان الله مُستعد أن يغفر أسوأ خطية لأسوأ الخطاه، ألا يسمع آهات التائبين من أولاده الذين أخطأوا؟ إذا كنا لم نتعلم أي شئ من مزامير التوبة؛ دعونا على الأقل نتعلم «لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ. لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ». (مزمور١٣٠: ٤). في الواقع فإننا نجرؤ على قول أن هذا هو الهدف من دراستنا، فبالنسبة للقديسين الذين يذلون يمكن أن يُغفر لهم و

يسترجعوا علاقتهم مع الله، وإلا كان بطرس المتهور ظل يبكي حتى الموت بقلب مكسور (لوقا٢٢: ٦٢)، ومن دون نقاش، فمن الأفضل دائمًا أن نفعل حسنًا من أن نطلب الغفران، وبالمثل فمن الأفضل دائمًا الحصول على الغفران عن الموت في العار. تاب داود ففي عبرانيين١١، من يتواضع يجب عليه أن ينهج بصلاة التوبة التي قالها داود.

التسلسل الزمني:

بما أن مزمور ٥١ يسبق مزمور٣، فنحن ننظر أن التسلسل الزمني غير هام لتفسير مزمور ٦في الواقع، وأنا موقن أن المزامير الأربعة قيد الدراسة تتعلق بخطايا داود في حق بثشبع وأوريا، وبعبارة أخرى يصف مزمور٦ ضعف الملك المغتصب للموت مثل الإرهاق والتعب، كما أُجبر داود على الهرب من يد أبشالوم من نتصور أنه على الرغم من تجاوزتنا فهي مغفورة، ومع ذلك فإننا علينا أن نتحمل العواقب الزمنية، وبعبارة أخرى قد تؤدي الخطية إلى أن تُعاني العار وفقدان العلاقة مع الله لفترة (١كورنثوس٥: ١٢؛ ٢كورنثوس٢: ٧). كما في مزمور٣٢، ابتهج الملك لأنه قد غُفر له تمامًا وإلى الأبد، وفي الوقت نفسه ندم على كسله وعدم اعترافه بذنبه سريعًا. ففي مزمور ٣٨، كان الملك يتألم من الأحزان والأمراض الناشئة من العواقب الزمنية لخطيته، وهذا يُشير إلى أنه حين عاد داود إلى طريق الحق فكان يخضع لتأديب الله ويتخلى عنه رفاقه .إذا كان الرجال العظماء قادرون على فعل أخطاء كبيرة، فالأصدقاء أيضًا قادرون على التحول السريع، عندما يتم اختيار صداقتهم في وقت الحاجة، لهذا السبب تم التخلي عنه أيضًا من قِبل عائلته وأصدقائه وخدامه عندما كانت يد الله ثقيلة عليه، وندب داود حالته عندما صرخ «قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقَتْنِي، وَنُورُ عَيْنَيَّ أَيْضًا لَيْسَ مَعِي.أَحِبَّائِي وَأَصْحَابِي يَقِفُونَ تُجَاهَ ضَرْبَتِي، وَأَقَارِبِي وَقَفُوا بَعِيدًا. وَطَالِبُو نَفْسِي نَصَبُوا شَرَكًا، وَالْمُلْتَمِسُونَ لِيَ الشَّرَّ تَكَلَّمُوا بِالْمَفَاسِدِ، وَالْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُونَ بِالْغِشِّ». (مزمور٣٨: ١٠-١٢).

الندم التقليدي:

مزمور٥١: هو الاعتراف التقليدي من التلاميذ التائبين الذين يسعون للغفران على هذا النحو، الرسول بولس كان قادرًا على الاقتباس من (٥١: ٤) عند تطبيقه على دليل التبرير بالإيمان وحده (رومية٣: ٤، ٢٦)، وبالمثل يستخدم بولس مزمور (٣٢: ١-٢)، لكي يثبت البر الأبدي المنسوب إلى أولئك الذين لديهم إيمان يسوع (٤: ٧-٨). ومع ذلك: هناك شئ مشترك بين جميع المزامير قيد الدراسة، هي أن الخطايا المستترة والسرية سوف تؤدي إلى ظهور عار الجاني علانية، إن لم يكن الآن في هذه الحياة ففيما بعد (مزمور٩٠: ٢٨؛ رومية٢: ١٦)، وفي حالة أولئك الذين يعرفون الرب فهذه الخطايا الخفية تضر مكافأتهم (١كورنثوس٣: ١٥).

الخطايا المُخزية:

في حالة الخطايا الخطيرة يكون أول رد فعل نقوم به هو إخفاء الشعور بالذنب أمام زملاءنا، لهذا السبب مزمور٦ يكشف عن أن الله يرى كل شئ، وما يسمح به لخادمه ما هو إلا وسيلة تقوده إلى التوبة والاعتراف، هذه الآلام التي سمح بها الله تكشف أن الخطاية الجسيمة ليست فقط تحزن قلب الله ولكن تثير الاستياء الشديد خاصة عندما يخفي الخاطي ذنبه وراء عباءة النفاق التقوي، وإن يد الله على الخاطئ في مزمور ٦ فقد كان يخشى فقدان حياته لذلك توسل «عُدْ يَا رَبُّ. نَجِّ نَفْسِي. خَلِّصْنِي مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ. لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟».(مزمور٦: ٤-٥)، وتمنى أن يصبح ذلك مثالًا حيًا للقديسين في استعادة الشركة الكاملة حتى أنه تعهد أيضًا « فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ، وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ». (مزمور٥١: ١٣).

الاعتراف ذبيحة غير دموية: فمن الملاحظ أن داود لم يشر إلى الذبيحة عندما اعترف بخطيته وبالتالي كان يشير الى تعليم العهد الجديد الذي يقرر « لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا». (عبرانيين١٠: ٤)، ولذا صرح داود « لأَنَّكَ لاَ تُسَرُّ

بذَبيحَةٍ وَإِلاَّ فَكُنْتُ أُقَدِّمُهَا. بِمُحْرَقَةٍ لاَ تَرْضَى. ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ. الْقَلْبُ الْمُنْكَسِرُ وَالْمُنْسَحِقُ يَا اَللهُ لاَ تَحْتَقِرُهُ». (مزمور٥١: ١٦-١٧). فما الحاجة إلى ذبيحة أخرى بما أن المسيح قد أبطل الخطية بذبيحة نفسه (ص٩:٢٦) ولم تعد بعد الحاجة الى ذبيحة « وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ». (١يوحنا١: ٧) لذلك «إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ». (١يوحنا١: ٩).

قد تصنف الخطايا التي ارتكبها داود على أنها خطايا جسيمة تحت أربعة عناوين: أولًا: أثار الملك غضب الملك عندما أمر يوآب ترقيم جيش إسرائيل. ثانيًا: تنجس داود مع بثشبع بينما كان زوجها أوريا يقاتل ببسالة أعداء الرب. ثالثًا: قتل داود أوريا عندما أمر يوآب وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». (٢صموئيل١١: ١٥)، وهدأ داود عندما علم أنه قد تم قتل أوريا وفقًا للخطة «فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِتِّيُّ أَيْضًا». (٢صموئيل١١: ١٧). رابعًا: ازداد الوضع سوءًا عندما أهمل داود الاعتراف بخطاياه وعدم طلبه للغفران والعفو من الله، ولكن على الرغم من أن الملك قد فعل قصارى جهده لإخفاء هذه المسألة (٢صموئيل١٢: ١٤).

وماذا عنا نحن؟ :

باختصار إذا كانت الجرائم الثلاثة الأولى مرتكبة عن عمد ثم الرابعة خطية بإغفال، لأنه أخطأ بالفعل وأخطأ مرة أخرى بعدم فعل ما هو حق، اننا نحن جميعًا نشبه هذا النمط في حياتنا الخاصة. فان كنا لا نفعل ما حرمه الله؟ إذا كنا لم نسقط في خطايانا مثل داود فذلك فقط بنعمة الله. «إِذًا مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ، فَلْيَنْظُرْ أَنْ لاَ يَسْقُطَ». (١كورنثوس١٠: ١٢).

إلتماس التائب

يمكن أن يُسمى مزمور٣٨ "إلتماس التائب" إنه صرخة رجل متعثر ومكسور القلب بسبب خطاياه، وقد أتى لله بذنبه طالبًا الغفران.

إدانة:

يمكننا كتابة "إدانة" كعنوان لأول أربعة أعداد من مزمور٣٨، لدينا هذا التعبير عن رجل لم يحاول أن يجد الأعذار لخطاياه، وطالما تجد شخصا يسعى لتبرير خطاياه وفشله؛ سوف تعرف أن سكة المحراث للإدانة لن تكون عميقة بما فيه الكفاية. فعندما واجه صموئيل الملك شاول بخطاياه قال فَقَالَ: «قَدْ أَخْطَأْتُ. وَالآنَ فَأَكْرِمْنِي أَمَامَ شُيُوخِ شَعْبِي وَأَمَامَ إِسْرَائِيلَ، وَارْجِعْ مَعِي فَأَسْجُدَ لِلرَّبِّ إِلهِكَ». (١صموئيل٥: ٣٠). وبعبارة أخرى قال "نعم، لقد ارتكبت خطأ، ولكن تأكد من شيء في أعين الناس." لا يوجد أي دليل إدانة حقيقي هنا. عندما يشعر الإنسان بإدانته لنفسه يتوقف عن تقديم الأعذار ولا يسعى لشرف نفسه وحتى في هذه الآيات الأربعة نستمع لداود المُرتل تتفق مشاعر قلبه المكسور بسبب خطيته، «يَا رَبُّ، لاَ تُوَبِّخْنِي بِسَخَطِكَ، وَلاَ تُؤَدِّبْنِي بِغَيْظِكَ، لأَنَّ سِهَامَكَ قَدِ انْتَشَبَتْ فِيَّ، وَنَزَلَتْ عَلَيَّ يَدُكَ. لَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ مِنْ جِهَةِ غَضَبِكَ. لَيْسَتْ فِي عِظَامِي سَلاَمَةٌ مِنْ جِهَةِ خَطِيَّتِي. لأَنَّ آثَامِي قَدْ طَمَتْ فَوْقَ رَأْسِي. كَحِمْلٍ ثَقِيلٍ أَثْقَلَ مِمَّا أَحْتَمِلُ». يالها من رحمة عندما يقع أحد في الخطية مثلما سقط داود في خطيته، فالله لا يتعامل معه، وإن السهام الحادة من الله

القدير لا تخترق روحه، وإن يد الله قد ثقلت عليه، مما جعله يشعُر بخطيته، و قد أدرك أنه بالحق قد أغضب الله.

تتطلب الخطية العقاب، قد نحاول تبريرها ولكن الله هو «عَيْنَاكَ أَطْهَرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ، وَلاَ تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ، فَلِمَ تَنْظُرُ إِلَى النَّاهِبِينَ، وَتَصْمُتُ حِينَ يَبْلَعُ الشِّرِّيرُ مَنْ هُوَ أَبَرُّ مِنْهُ؟» (حبقوق١: ١٣)، فالله لن ينقذ الخاطئ ويترك الخطية التي أخطأ بها دون عقاب، إذا كان لن يُعاقب الخاطئ فيجب عليه مُعاقبة بديل عن الخاطئ، وهذا هو ما قد تم في الجلجثة، في الصليب حمل الرب يسوع الحكم، هناك ترنيمة قديمة كتبها جون جامبولد تقول" حمل على خشبة الحكم بدلًا منا، والآن أنت قد جعلت الخاطئ من الأبرار. هذا هو صوت خاطئ مُدان الذي يقول للظلمة الجاثمة فوق رأسه باعتبارها عبئاً ثقيلًا "إنها ثقيلة جدًا علي".

إذلال:

في الآيات من٤-١٥قد نكتب كلمة (إذلال) فهو مازال ينظر إلى قلبه، موطن خطيته التي قد دمرت حياته، ولقد انحنى أمام الله في شعور عميق بالإذلال، وعلى الرغم من أنه شعر في جسده وروحه بأثار خطيته، وكان يعلم أن الله يتعامل معه هكذا بسبب خطيته، ولقد ادرك أنه لا يوجد أحد آخر بمكن أن يحوله للخلاص. « يَا رَبُّ، أَمَامَكَ كُلُّ تأَوُّهِي، وَتَنَهُّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنْكَ. قَلْبِي خَافِقٌ. قُوَّتِي فَارَقَتْنِي، وَنُورُ عَيْنِي أَيْضًا لَيْسَ مَعِي. أَحِبَّائِي وَأَصْحَابِي يَقِفُونَ تُجَاهَ ضَرْبَتِي، وَأَقَارِبِي وَقَفُوا بَعِيدًا». كان هناك شعور بأن الله قد تدخل في ذلك؛ على الرغم من أنه هو القدوس، أخذ يسوع مكان الخاطئ، ويمكننا استخدام لغة مماثلة «أَحِبَّائِي وَأَصْحَابِي يَقِفُونَ تُجَاهَ ضَرْبَتِي، وَأَقَارِبِي وَقَفُوا بَعِيدًا. وَطَالِبُو نَفْسِي نَصَبُوا شَرَكًا، وَالْمُلْتَمِسُونَ لِيَ الشَّرَّ تَكَلَّمُوا بِالْمَفَاسِدِ، وَالْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُونَ بِالْغِشِّ».

كان داود يعلم أنه استحق كل ما قد وقع عليه، كذلك يسوع لأنه قد أخذ مكاننا وقَبل الحكم بسبب خطايانا فقد استحق ذلك مجازًا، فيمكننا استخدام الآيات

المُقبلة: «وَأَمَّا أَنَا فَكَأَصَمَّ لاَ أَسْمَعُ. وَكَأَبْكَمَ لاَ يَفْتَحُ فَاهُ. وَأَكُونُ مِثْلَ إِنْسَانٍ لاَ يَسْمَعُ، وَلَيْسَ فِي فَمِهِ حُجَّةٌ». إنه لأمر عظيم أن تأتي إلى المكان الذي لا يوجد فيك خطأ.

العديد منا يقضون الكثير من الوقت في محاولة العثور على خطأ في أشخاص آخرين. يمكننا أن نرى أخطاء الآخرين وتضخيم خطاياهم بينما نحن فاقدون للوعي بالنسبة لأخطائنا الخاصة. عندما يقوم الناس باتهامنا نسخط عليهم وننسى أنه لو عرف أسوأ أعدائنا خطايانا وما في قلبنا كانوا سيقولون أسوأ بكثير من ما قد قيل، أحنى داود رأسه امام الله ولم يكن لديه شئ يقوله لأن ضميره كان يتهمه أكثر من أي شخص.

اعتراف:

في الآيات من ١٥-٢٠« لأَنِّي لَكَ يَا رَبُّ صَبَرْتُ، أَنْتَ تَسْتَجِيبُ يَا رَبُّ إِلهِي. لأَنِّي قُلْتُ: «لِئَلاَّ يَشْمَتُوا بِي». عِنْدَمَا زَلَّتْ قَدَمِي تَعَظَّمُوا عَلَيَّ. لأَنِّي مُوشِكٌ أَنْ أَظْلَعَ، وَوَجَعِي مُقَابِلِي دَائِمًا. لأَنَّنِي أُخْبِرُ بِإِثْمِي، وَأَغْتَمُّ مِنْ خَطِيَّتِي. وَأَمَّا أَعْدَائِي فَأَحْيَاءٌ. عَظُمُوا. وَالَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي ظُلْمًا كَثُرُوا. وَالْمُجَازُونَ عَنِ الْخَيْرِ بِشَرّ، يُقَاوِمُونَنِي لأَجْلِ اتِّبَاعِي الصَّلاَحَ». وهل تعرف ما قاله الله في مكان آخر؟ «مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ، وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ». (أمثال٢٨: ١٣). قال داود أنه لن يحاول أن يكتم خطيته «لأَنَّنِي أُخْبِرُ بِإِثْمِي، وَأَغْتَمُّ مِنْ خَطِيَّتِي. وَأَمَّا أَعْدَائِي فَأَحْيَاءٌ. عَظُمُوا. وَالَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي ظُلْمًا كَثُرُوا. وَالْمُجَازُونَ عَنِ الْخَيْرِ بِشَرّ، يُقَاوِمُونَنِي لأَجْلِ اتِّبَاعِي الصَّلاَحَ». فكان أعداءه يلقوا باللوم عليه بسبب خطاياه، ثم بعد ذلك ألقوا باللوم عليه عندما تحول إلى الله طالبًا أن يجد الغفران.

الثقة:

في أخر آيتين يعرب داود عن ثقته بالله «لاَ تَتْرُكْنِي يَا رَبُّ. يَا إِلهِي، لاَ تَبْعُدْ عَنِّي. أَسْرِعْ إِلَى مَعُونَتِي يَا رَبُّ يَا خَلاَصِي».

توبة بلا رجوع

واحد من أعظم وأروع الاختبارات الروحية، وربما كان هو أهمها على الإطلاق هو اختبار "التوبة". لا شك أن كل مخلص يدرك كيف أنه خاطئ؛ بالطبيعة وبالتصرفات سواءً بسواء. والتوبة في المفهوم الكتابي هي ليست مجرد الندم على الأخطاء أو على الماضي. وليست قلب صفحة جديدة، أو تحسين أخلاقيات رديئة. بل هي تغيير اتجاه فكري وشعور كامل يتغير معه الحياة بأسرها، من حياة تعطي الله القفا لا الوجه، إلى حياة تسعى وراء المسيح غرض الحياة بأسرها.

إن تغييرًا بحجم ما حدث لشاول الطرسوسى وهو في طريقه إلى دمشق ليتحول أول الخطاة إلى أعظم رسل المسيح، ليس بكثير على هذه التوبة الحقيقية التي تغير الحياة تمامًا من النقيض إلى النقيض، وتغيرها مسارًا ومصيرًا سواء بسواء.

القارئ العزيز:

هل اختبرت توبة الحياة هذه؟ اعلم أنه لا سلام ولا بركة ولا أمان حاضر أو مستقبل بعيدًا عن هذه التوبة. ليتك تقول مع النبي في يومه للرب «توِّبْني فَأَتُوبَ» الآن وفورًا.

حياة صموئيل

كلمة ختامية

إن «نشيد القوس»، هو عنوان المرثاة المؤثرة الجميلة التي ألقاها داود في حزنه الشديد على فاجعة جبل جلبوع، مثير جدًا للشجون. ويبدو كأن المرنم نسى الاختبارات الأليمة التي لقاها بسبب جنون شاول. وإذ أغمض عينيه عن السنوات الأخيرة، عاد لينشد أناشيده الراعوية القديمة متغنيًا بأمجاد وعظمة ملكه.

الظبي يا إسرائيل مقتول على شوامخك....كيف سقط الجبابرة....شاول ويوناثان المحبوبان والحلوان في حياتهما لم يفترقا في موتهما.

إذ نسمع داود ينشد، فإن هذا يجعلنا نفكر في محبة الله، ويذكرنا بما قاله الله: «وَلاَ أَذْكُرُ خَطَايَاهُمْ وَتعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ» (عب٨: ١٢). هنا على الأقل، قبل عصر المسيحية بزمن طويل، نجد المحبة التي احتملت كل شيء وصدقت كل شيء ورجت كل شيء وصبرت على كل شيء ولم تسقط أبدًا، التي لم تذكر لشاول ويوناثان إلا محاسنهما، ولم تفكر إلا في أنهما كانا محبوبان وحلوين، ورفضت أن تفكر في أي شيء رزيل ارتكبه شاول. هذا ما ينبغي أن يكون تفكيرنا نحن أيضًا في شاول أول ملك إسرائيل.

يبدو لنا دوامًا كأن شاول واحد من أولئك المرفوضين الذين خشي الرسول بولس أن يحسب في عدادهم أخيرًا، الذين اختارهم الله يومًا ما، لإتمام مهمة سامية، وكان يرجى منهم كل خير في بداية الأمر، لكنهم نبذوا أخيرًا من خدمته، وصاروا كالملح الذي فقد ملوحته، فطرح خارجًا لكي يُداس من الناس.

هذه فكرة مرعبة جدًا. فإنه لن تبدأ حياة مشرقة لامعة أكثر من شاول، ولم تختم حياة في ظلام مرعب ويأس قاتل مثل شاول. ومع ذلك فهذا ما قد يحدث لنا، إلا أن كنا نسهر ونصلي ونسلك مع إلهنا بتواضع. إن الذين يخافون من السقوط في مثل هذه الحالة هم أقل الناس عرضه للسقوط. إن التلميذ الذي يتساءل "هل هو أنا يا رب" في شك من نفسك، لن يسقط في الخطية بحيث يدوس ابن الله أو يصلبه لنفسه ثانية. والأعمق من هذا أن شاول يمثل في حكمه «رئيس هذا الدهر»، (ويمكن أن يسمى «العالم»)، الذي كان يومًا ما «زهرة بنت الصبح»، وكان قد عين نائبًا عن الله للتسلط على ميراثه، لكنه سقط من السماء (إش١٤: ١٢) سقط من علیائه، وفي سقوطه لم يجذب معه فقط عددًا وفيرًا من الأرواح الجميلة المنيرة، لكنه أحدث تأثيرًا سيئًا على المنطقة التي سبق أن أقيم عليها. في كل هذه النواحي يوجد تشبيه قريب بين شاول الملك وبين الشيطان الذي كان رئيس ملائكة وسقط. فكلاهما أغدقت عليهما نعم أكثر من غيرهما. وكل منهما بدأ بداية طيبة. وكل منهما كان وكيلاً على ميراث الله. وكلا منهما عصى وتكبر وتصلف. وكل منهما سقط من علو شاهق، وفي سقوطه جر وراءه عددًا وفيرًا، وترك خرابًا وويلات. وكل منهما استحق الحكم بالعزل كبداية لتأسيس مملكة أخرى كانت في دور التكوين. في حالة شاول كانت مملكة داود في دور التكوين، وفي حالة الشيطان كانت تلك المملكة التي لن تزول بل تبقى إلى الأبد.

إن تجمع المظلومين عند مغارة عدلام، وتنظيم داود لهم بروحه النبيلة حتى صاروا جيشًا عظيمًا منظمًا مدربًا، وتلك الروح السامية التي ظهرت في داود بعكس

خصمه شاول، وتلك الإضطهادات المتوالية حلت به، هذه كلها تجد لها نظيرًا رائعًا فقط في تاريخ ابن الإنسان الذي كان دائمًا معرضًا لمقاومة الشيطان من المهد إلى القبر.

بالرغم من كل ما فعله شاول بجنونه وأحقاده لإحباط وتعطيل الخطة الإلهية فقد أقام الله ملكه على صهيون جبل قدسه (مز٢: ١-٦)، وخرج ليعلن أنه أجلسه على عرشه وتوجه. هكذا أيضًا يجب أن تتم وتثبت مقاصد الله مهما اشتدت مقاومة الناس والشياطين. ينبغي أن يملك ابن الله على البشر. إن مملكته متوارية الآن، وأتباعه غير ظاهرين لأعين الناس. وإمبراطوريته الكاملة مختفية. ونحن في كل يوم نصلي قائلين: «ليأتي ملكوتك». وانقلاب عدوها اللدود ينبغي أن يسبق تأسيسها. ينبغي أن يكون هنالك «هَرْمَجَدُّونَ. للمسكونة (رؤ١٦:١٦)، كما كان هنالك جبل جلبوع. وحينما تنتهي تلك الحرب الأخيرة، وتنهزم قوات الظلمة، على ألا تعود فيما بعد، عندئذٍ يسمع هتاف أصوات كثيرة، كما من جموع وفيرة، قائلة: «قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (رؤ١١: ١٥).

«لِذلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتًا لاَ يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى. لأَنَّ إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ». (عب١٢، ٢٨، ٢٩). إن التأمل في مُلك شاول يبدو مرًا جدًا على النفس إلا إذا أدركنا أنه تحت تلك القشرة القذرة كانت تتكون تلك الثمرة الشهية، أي مملكة داود، التي كان مقدرًا لها أن تغرس في العالم غرسًا أبديًا. هكذا نحن قد لا ننظر بعين اليأس إلى ما تفعله قوات الشر المثلثة في العالم إلا إذا علمنا أنه: «وَفِي أَيَّامِ هؤُلاَءِ الْمُلُوكِ، يُقِيمُ إِلهُ السَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا، وَمَلِكُهَا لاَ يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ، وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هذِهِ الْمَمَالِكِ، وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (دا٢: ٤٤). هكذا نجد صموئيل النبي بمثابة حلقة اتصال بين شمشون القاضي وداود الملك. وهنالك أهمية كبرى في هذه الحقيقة وهي أن اسمه أطلق على السفرين من الكتاب المقدس اللذين يصفان فترة الانتقال هذه، وكانت كل حادثة فيها قد تأثرت بنفوذه.

حياة بطرس

«ولبطرس»

(مت١:٢٨-٨؛مر١٦: ١-٨؛ لو٢٤: ١-٨؛ يو٢٠: ١-١٠)

يقرر لنا متى في إنجيله أن الملاك قال للمرأتين: «أذهبا سريعًا قولا لتلاميذه» أما مرقس، وقد كان أقرب الإنجيليين إلى بطرس، ولعله استقي منه الكثير من المعلومات التي وصلت إليه، فإنه يضيف إلى هذه الكلمة: «ولبطرس» قد تكون هذه الكلمة زالت من ذاكرة باقي التلاميذ بمرور الزمن، ولكنها نُقشت في ذاكرة بطرس بحروف من نور ونار.

في سفر نشيد الأنشاد، نرى أن للمحبة الكاملة ثلاث مميزات، كانت كل منها ظاهرة وملموسة في معاملة الرب لتلميذه وصديقه، الذي حُذر ثلاث مرات وأنكر ثلاث مرات، وأُعيد إلى الأحضان الأبوية في ثلاث مناسبات.

المحبة قوية كالموت

حدثت أحداث كثيرة للمخلص منذ تلك الساعة التي فيها التفت ونظر إلى بطرس في قاعة المحاكمة. فقد شرب الكأس التي أعطاه الرب إياها حتى الثمالة حسب التدبير الموضوع منذ الأزل.

- ✓ إنه، باختياره صار خطية من أجل الإنسان، لكي يكون الله بارًا ويبرر الذين يؤمنون (٢كو٥: ٢١؛ رؤ٣: ٢٦).
- ✓ وأبطل الخطية بذبيحة نفسه بين تشقق الصخور وتلبد السماء بالغيوم (عب٩: ٢٦).
- ✓ وأحنى رأسه للموت وأسلم الروح، وبالموت أباد ذاك الذي له سلطان الموت (عب٢: ١٤).
- ✓ والتقى برئيس هذا العالم في أمنع حصونه، وأنتزع من يده مفاتيح الهاوية والموت (١كو١٥: ٥٥).
- ✓ وجاز وسط مناطق الهاوية السرية العجيبة، التي أشير إليها فيما بعد ب «أقسام الأرض السفلي» وأعلن أنه أتم عمله للأرواح التي عصت قديمًا (أف٤: ٩؛ ١بط٣: ١٩، ٢٠).
- ✓ وقام من القبر محطمًا كل قيود العبودية، ومنتزعًا من الموت شوكته ومن القبر قوته.

وسرت الأنباء بأقصى سرعة إلى كل أطراف المسكونة بأنه بدم صليبه قد صارت السموات نفسها أقرب إلى الله، بل أن موسيقى العالم الأبدي لابد أن تكون قد توقفت إذ اشتهت الملائكة أن تخترق الحجب وتطلع على إعلانات تلك الساعة.

ولكن محبته لم تتوقف،ولم تنقص، ولم يصبها تغيير ولا ظل دوران، ولذاته كانت لا تزال مع بني آدم (أم٨: ٣١) لقد عجز الموت والقبر عن أن يحدثا أي تغيير فيها، كما عجزا عن أن يؤثر على محبة أولئك الذين أحببناهن وفقدناهم إلى أجل معين. كانت حالة بطرس في فكره حين أغمض عينيه ومات، وكانت ماثلة أمامه حين وقف برهة للتحدث مع الملاك الحارس الذي كلفه بهذه الرسالة.

إنه وضع بطرس «كخاتم على قلبه» على حد تعبير نشيد الأنشاد، إذ القلب هو مركز المحبة، و«كخاتم على ساعده»، والساعد مركز القوة. وإذ حمل هذا الخاتم، حفظه سالمًا وسط الأحداث الكثيرة والخطيرة التي أتمت فداء جنسنا؛ وكانت أولى كلمات المخلص بعد القيامة برهانًا على أن محبته قوية كالموت، فإنه إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم إلى المنتهى. محبته «قوية». قد تكون المحبة في الآخرين مجرد محبة العواطف، تظهر في الابتسامة أو الدموع، أو رقة المعاملة. أما محبة المسيح، فإنها قوية كما أنها رقيقة...هو المحبة الخالدة...وهو ابن الله القوي.

وكما عجز الموت والقبر عن الحد من محبته، هكذا أيضًا لم ينقصها مرور الأجيال الطويلة الماضية...هز لا يزال يحبنا كما أحب بطرس ومريم، يوحنا وتوما، في أيام جسده...هو يذكُرنا بأسمائنا، يعرف سقطاتنا، ويدعونا من الكورة البعيدة التي ضللنا فيها، وكأنه يبدو أن يقول ما قاله بطرس له: «وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبدًا».

«مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة»

إن محبة المسيح تزيدها المياه اشتعالاً، كنيران اليونان التي تحدثوا عنها في أساطيرهم، فإنها في حالة بطرس، كما في حالة الملايين وربوات البشر، كانت محاطة بلجج كثيرة من الجحود، وعدم المبالاة، والعناد، والإنكار، والخطية

لقد تخلى عنه بطرس في البستان، أما هو فأرسل إليه تلك الرسالة.

نزل المسيح من العلّية، وسار في الطريق هو وتلاميذه حتى وصلوا وادي قدرون، ثم جازوه وصعدوا إلى جبل الزيتون، وساروا حتى البستان. ولشد ما كانت دهشتهم حين أمر ثمانية منهم أن ينتظروا عند مدخل البستان، وأخذ الثلاثة الباقين ودخل معهم. وحتى هؤلاء الثلاثة أمرهم أن ينتظروا في مكان معيّن ويصلوا، أما هو فابتعد عنهم نحو رمية حجر؛ فغنه يجب أن يدوس المعصرة وحده، ولا يكون معه أحد من

الشعوب (إش٦٣: ٣)، بل حتى يوحنا الحبيب لم يكن ممكنًا أن يكون معه حين أخذ الكأس من يد الآب.

وإذ غادرهم، قال لهم: «اسهوا معي» قدم هذا الطلب بحسب ناسوته، لأنه من ذا الذي ينكر قيمة عطف ومعونة الأصدقاء في الساعات الخطيرة؟ عندما نكون محاطين بجماعة القديسين، نستطيع أن نُصيرّ وادي البكاء ينبوعًا (مز٨٤: ٦)، «فَإِذْ قَدْ تشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا» (عب٢: ١٤)، ولكنه علم أيضًا أن هذه هي ساعة سلطان الظلمة. كانت عملية الغربلة قد أوشكت أن تبدأ، فإن يهوذا كان قد حشد أعوانه. ولم يكن ممكنًا للتلاميذ أن يثبتوا في ذلك اليوم الشرير، مالم يكونوا قد تسلحوا بسلاح الله الكامل. ولكنه، إذ أتى إليهم ثلاث مرات، وجد أنهم قد خيبوا أمله فيهم، لأن أعينهم كانت قد تثقلت بالنوم. وأخيرًا، أتى ملاك ليقدم المعونة التي كان يجب أن يقدمها الإنسان الذي فشل في تقديمها. لم ينسى بطرس قط لهجة العتاب الذي وجهه المسيح إليهم، وبنوع خاص إليه: «أما قدرت أن تسهر معي ساعة واحدة؟» ولكن، رغم أن بطرس خيب آماله، مع تحذيراته الكثيرة، فإن المسيح أرسل إليه تلك الرسالة.

وبطرس أساء فهم روح المسيح ومقاصده، وعرّضه للخطر. كل التلاميذ لم يدركوا الموقف. لم يكن لديهم أقل شك في أنه هو ابن العليّ وملك إسرائيل. ولقد كانوا ينازعون، حتى اليوم الأخير، حول المراكز العليا في الملكوت. وهم لم تأخذهم الدهشة إذ رأوا الجنود المدججة بالسلاح تقترب، لأن يسوع أنبأهم بأنهم يجب أن يتوقعوا هذا. وفضلاً عن هذا، فإنهم احتاطوا لذلك الموقف بإحضار سيفين كان أحدهما مع بطرس. ولعلهم فكروا معًا بأنهم، إن اقتضى الأمر، يجب أن يموتوا حول شخصه، ولو أنهم لم يتوقعوا بأن الموقف سوف يتطلب هذا؛ لأن الله لابد أن يتدخل عندما يتحرّج الموقف، وتظهر الملائكة على المسرح، فيتفرق أعداؤهم كما في يوم مديان (إش٩: ٤).

ومع أن بطرس خارت عزيمته أمام الجارية، إلا أنه لم يخف ولم يضعف قلبه، فقد كان مستعدًا أن يحارب كالأسد، لو أن الرب سمح له بذلك. وعندما أدرك الباقون الموقف، طلبوا من السيد أن يأذن لهم أن يضربوا بالسيف،ولم ينتظر بطرس كلمة المسيح، بل قذف بنفسه وسط الجند، وأشهر سيفه وضرب به ضربة شديدة، فقطعت أذن ملخس اليمنى. ورغم توفر حسن النية في هذا التصرف، فغنه لم يَرُق في عيني السيد، لأن استخدام القوة يقتضي مقابلتها بالقوة، فالذين يأخذون بالسيف يهلكون بالسيف. ثم أن هذا يشوه من جمال تضحية المسيح الاختيارية وقبوله الصليب بمحض إرادته. وفضلاً عن هذا، فغن الفريسيين ربما كانوا يؤولن مقاومة التلاميذ بأنها بدء الثورة ضد الاحتلال الروماني.

ولطالما ردد المسيح أنه ليس أحد يأخذ نفسه منه، ولكنه هو يضعها من ذاته وبمقتضى الوصية الصريحة التي قبلها من الآب، هو يضعها ثم يأخذها (يو١٠: ١٨). ولو كان قد قابل القوة بالعنف -الأمر الذي لا يليق به- لاختفى عنصر الرغبة الاختيارية في تحمل الآلام. لذلك تدخل ليسكن تلك الثورة، وصد تابعيه، وطلب الأذن بفك القيود عن أحدى يديه، حتى يستطيع أن يلمس بها أذن ملخس. وبعد عتاب قصير، سمح لهم بأن يقتادوه كشاة تساق إلى الذبح. كان في هذا التصرف السريع إنقاذ للموقف الصاخب الذي أثارته حركة بطرس العنيفة المتسرعة، التي بينت كيف أنه هو وباقي رفاقه لم يدركوا الموقف مطلقًا. ولكن، رغم كل ذلك، فإن المسيح ذكر بطرس بنوع خاص، وأرسل إليه تلك الدعوة الخاصة، وهو عالم أن قصر إدراكه لا يزال عالقاً به.

وبطرس نكث العهد، وأنكر المسيح بقسم ثلاث مرات، ولكنه أرسل إليه هذه الرسالة: عاد الجميع إلى المدينة، وفي وسطهم المسيح الذي ألقوا القبض عليه. أفاق يوحنا أولاً من صدمة الذعر الذي استولى عليه هو وسائر رفاقه، والذي دفعهم إلى الهرب والتنحي عن معلمهم، ويبدو أنه بعد ذلك رافق المشهد سائرًا في مؤخرته، أما

بطرس فتبع المسيح من بعيد. ولدى فتح أبواب قصر حنانيا، الذي عقدت فيه المحاكمة الأولى، غير الرسمية، لمحاولة اقتناص كلمة من بين شفتي المسيح كدليل جديد على إدانته، دخل يوحنا مع الجمع. ولكنه إذ لم يعثر على بطرس، خرج إلى الخادمة التي كانت تحرس الباب، وتوسل إليها لإدخال بطرس، حيث كان واثقًا من وقوفه خارجًا، وإذ ظنت الخادمة أن يوحنا واحد من أتباع رئيس الكهنة، سمحت لبطرس بالدخول، وتفرست في وجهه إذا جاز تحت المشعل الذي كان يضيء مدخل القصر.

هذا المدخل يؤدى إلى ساحة مربعة مكشوفة. ولأن الطقس كان باردًا في تلك الليلة، أشعل الخدم نارًا في الموقد الكبير. اصطف حول النار للاستدفاء الجند الرومانيون، ورجال الشرطة العبرانيون، وخدم رئيس الكهنة، والجواسيس وشهود الزور الذين كانوا منتظرين لتأدية الشهادة.

دخل يوحنا مع المسيح إلى غرفة المحاكمة التي كانت تطل على تلك الساحة، أما بطرس فأنضم إلى الجماعة «وكان واقفًا يصطلي» معهم حول النار. لقد استولى عليه اليأس، وأنتفي عنه كل رجاء. وإذ وجد أن معلمه قد رفض المساعدة، التي خيل إليه أنه يقدمها له (باستخدام وسائل العنف) بُلبل فكره وارتبك، ولعل ذلك أيضًا قد أسدل عليه حجاباً كثيفًا من سوء الفهم، كما سبب له الكثير من مرارة الفشل. على أنه ظل يرغب في أن يعرف النتيجة، وذلك فكر في أن يتسلل إلى الجند والخدم وسائر المشهد الخارجي، وينضم إليهم كأنه واحد منهم...«جلس بين الخدم لينظر النهاية».

أما الخادمة الواقفة على الباب، والتي سمحت له بالدخول، فإنها تركت مكانها وأتت إلى موضع النار، وعرفت بطرس ، وصرخت أمام كل الجماعة قائلة: «وأنت كنت مع يسوع الجليلي» كان هذا التصريح مباغتة له، فرد عن نفسه هذا الاتهام، وأعترف بأنه لا يدري ماذا قالت...«لست أدري ما تقولين».

ولعله غافل الجماعة فانسحب من بينهم، واتجه ناحية «الدهليز» (مدخل القصر)، وعند وصوله إليه، صاح الديك في مطلع الفجر. من ثم، رأته جارية أخرى وعرفته، ولعلها سمعت كلمات زميلتها السابقة، فقالت لبعض الواقفين: «وهذا كان مع يسوع الناصري»، ولكنه أنكر أيضًا هذه المرة مصحوبًا «بقَسَم»، وقال: «إني لست أعرف الرجل». وبعد ساعة، عاد مرة أخرى إلى النار، ولعله كان يحاول بذلك أن يصحح الموقف من تلقاء نفسه؛ ففكر في أن يدافع عن معلمه، ولو دون أن يبين أنه من أتباعه، ولكنه إذ فتح فمه، دلت لهجة كلامه -كجليلي- على كذبه في ادعاءاته التي كان يحاول أن يبرئ نفسه بها عن علاقته بيسوع. فقد فضحته أكثر من جارية، واللباس الذي كان يرتديه دل على حقيقته، وأحد أقارب ملخس اعترف به. تحرّج الموقف جدًا، وابدأ المسكين يلعن ويحلف، قائلاً: «إنني لا أعرف الرجل»، ولكنه كلما ازداد صياحًا، قويت ضده الحجج التي تكشف عن حقيقته.

وإذ كان يتكلم، صاح الديك للمرة الثانية، «فتذكر بطرس كلام يسوع الذي قال له....» وللمرة الثانية أيضًا سمع يسوع نفس الصوت، كما سمع بطرس حيث كان واقفًا. وحينئذٍ تغاضى عن أحزانه الشخصية، والتفت ونظر إلى بطرس، لا بغضب أو لوم، بل للتذكير. ورغم كل هذا، فقد أرسل إليه تلك الرسالة....مياه كثيرة لا تطفئ محبته.

ونحن أيضًا قد نتخلى عنه، وننكره، ونصلبه لأنفسنا ثانية، ولكن، عندما نرجع إلى أنفسنا بحزن، ونأسف، يجددنا ثانية للتوبة. فاسمح اللهم أن تنظر إلينا عندما ننكرك، فنُشفى من ارتدادنا، وننال المغفرة، ونعود إلى أحضانك الأبوية.

كفاية المسيح

«فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ»

يستطيع الرب أن يُخرج الخير لشعبه من وسط أي شر. والمؤمنون في كولوسي كانوا في خطر عدم «التمسك بالرأس» من انزلاقهم بعدم إدراكهم أنهم في المسيح بانخداعهم بالقوانين المحلية ولعلاج ذلك عرض لهم - ويتذكروا - أن المؤمن قد صار له كل شيء في المسيح وبدونه فلا شيء على الإطلاق. إن فكر الله من جهة الكمال في المسيح يُعني بأنني يتملكني الشعور بافتقاري الكمال - وهو كل حاجتي - في المسيح؛ فحينئذٍ فإنني لا أُجد فيه بل بالحري بعيدًا عنه «وَأَنْتُمْ(ليس ستكونون) مَمْلُوؤُونَ فِيهِ» (ع١٠). إذ اتحد الجسد بالرأس، وبالتالي أتحد مع المسيح فإنني أجد فيه كل ما احتاجه، ويجب أن يملأني هذا الشعور وبالنعمة أحققه وأعلنه بينما عندما أفكر أن أحصل على ما لي في المسيح فهذا للبر الذاتي عمليًا؛ أي يجب عليّ أن أعمل شيئًا ما. إن قلوبنا خادعة بغزارة وتسعي بالحصول ولو على القليل بتلك المجهودات. ودعونا نقتنع - مهما يكن الأمر - فليس هناك أي مكان للذات. ففينا - في أجسادنا - لا يسكن شيء صالح فليس هناك بر أو قداسة أو تواضع بعيدًا عن المسيح. ليست حاجتي هي أن احصل على ما أريد، بل بالحري هي أن أوجد فيه يجب أن أكون ظاهرًا أمام الله في هذه الحالة وأن أجيبه كشخص مسئول أعرف قدر نفسي ضئيلاً ولكن في المسيح مملوءًا، كاملاً كالمسيح بالمقام. وهناك مظهران: إذا كان الله قد أعلن لنا؛ فيجب علينا أن نظهر ذواتنا أمامه.

فلنبارك الله لأننا لسنا بحاجة أن نبحث أي شيء خارج المسيح، لنكون مملوءين. ولاحظ - عزيزي القارئ - أن نسمع ختام الأمر في هذا الموضوع ليس هناك ما يرقى فوق ما نجده في المسيح.

«فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ»

يستطيع الرب أن يُخرج الخير لشعبه من وسط أي شر.

والمؤمنون في كولوسي كانوا في خطر عدم «التمسك بالرأس» من انزلاقهم بعدم إدراكهم أنهم في المسيح بانخداعهم بالقوانين المحلية ولعلاج ذلك عرض لهم - ويتذكروا - أن المؤمن قد صار له كل شيء في المسيح وبدونه فلا شيء على الإطلاق.

إن فكر الله من جهة الكمال في المسيح يُعني بأنني يتملكني الشعور بافتقاري الكمال - وهو كل حاجتي - في المسيح؛ فحينئذٍ فإنني لا أُجد فيه بل بالحري بعيدًا عنه «وَأَنْتُمْ(ليس ستكونون) مَمْلُوؤُونَ فِيهِ» (ع١٠).

إذ اتحد الجسد بالرأس، وبالتالي أتحد مع المسيح فإنني أجد فيه كل ما احتاجه، ويجب أن يملأني هذا الشعور وبالنعمة أحققه وأعلنه بينما عندما أفكر أن أحصل على ما لي في المسيح فهذا للبر الذاتي عمليًا؛ أي يجب علىّ أن أعمل شيئًا ما.

إن قلوبنا خادعة بغزارة وتسعي بالحصول ولو على القليل بتلك المجهودات. ودعونا نقتنع - مهما يكن الأمر - فليس هناك أي مكان للذات. ففينا - في أجسادنا - لا يسكن شيء صالح فليس هناك بر أو قداسة أو تواضع بعيدًا عن المسيح.

ليست حاجتي هي أن احصل على ما أريد، بل بالحري هي أن أوجد فيه يجب أن أكون ظاهرًا أمام الله في هذه الحالة وأن أحيبه كشخص مسئول أعرف قدر نفسي ضئيلاً ولكن في المسيح مملوءًا، كاملاً كالمسيح بالمقام.

وهناك مظهران: إذا كان الله قد أعلن لنا؛ فيجب علينا أن نظهر ذواتنا أمامه. فلنبارك الله لأننا لسنا بحاجة أن نبحث أي شيء خارج المسيح، لنكون مملوءين.

ولاحظ - عزيزي القارئ - أن نسمع ختام الأمر في هذا الموضوع ليس هناك ما يرقى فوق ما نجده في المسيح.

رجال الساعة

في وسط حالة الفشل العام التي تسود المسيحية اليوم بصفة عامة، وكنيسة الله الحقيقية بصفة خاصة. ربما من السهل على المرء فينا أن يكتشف الأخطاء وأوجه القصور والعيوب في الآخرين وما أكثرها.

ومن اليسير أن نتحدث عنها بل وعن أشخاص بعينهم وأخطائهم من الحين للآخر وننتقد بالصواب أو بالخطأ حسب وجهة نظرنا؛ هذا كله سهل بل مُلذ للجسد؛ الطبيعة الرديئة التي فينا؛ التي تلتمس لنفسها الأعذار، وتنتقد كل ما حولها ومن يحيط بها بقسوة.

حيث نرى بكل سهولة عيوب الآخرين، ونغض البصر تمامًا عن عيوبنا نحن التي ربما كانت في الحقيقة أكبر وأخطر.

وهذا النوع من الرياء حذر منه ربنا يسوع نفسه اليهود المتدينين الذين ينظرون القذى في عيون أخوتهم ولا يبصرون «الخشبة» التي في عيونهم! ويالـه من أسلوب "كاريكاتيري" بديع يوضح مأساة المفارقة!

إننا اليوم أشد احتياجًا ليس إلى "منتقدين" بل إلى "متشفعين".

ليس إلى من لا يرون في شعب الله سوى نقائصهم وعيوبهم بل إلى من يرونهم بعين الله المليئة بالنعمة والحب. نحن في مسيس الحاجة إلى روح إرميا (إر١٤) وعزرا (عز٩) ونحميا (نح١، ٩) ودانيال (دا٩).

الذين لم يفصلوا أنفسهم عن حال شعبهم وهم في أحط حال ورغمًا من أنهم أنفسهم لم يكونوا فعلا متورطين في خطايا وأخطاء أهلهم وشعبهم إلا أنهم بروح التشفع والصلوات التشفعية لجئوا إلى الرب معترفين بخطايا أخوتهم وكأنها خطاياهم الشخصية بكل تواضع وتذلل وفوق الكل كان مشهد ربنا يسوع المسيح نفسه وهو يتحد نفسه بالخطاة المعترفين بخطاياهم وهو يشاركهم معمودية التوبة من يوحنا المعمدان عند نهر الأردن وهو البار «ليكمل كل بر»!

إن كل من له شركة حقيقة عميقة مع الرب يرى ما يراه الرب في شعبه بعين النعمة «لَمْ يُبْصِرْ إِثمًا فِي يَعْقُوبَ، وَلاَ رَأَى تعَبًا فِي إِسْرَائِيلَ».

دون أن يتجاهل العيوب والأخطاء والنقائص ولكنه يعتبرها خاصة به هو مع أخوته فيتذلل إلى الرب من أجلها فيأكلون من ذبيحة خطية أخوتهم بلغة سفر اللاويين .

إن أمثال هؤلاء الرجال الأتقياء، وتصرفاتهم الخفية الراقية تبرهن على أنهم الأفاضل الذين نتضرع إلى الرب أن يكثر منهم بيننا اليوم، فنحن فعلاً في أشد الحاجة إليهم، بل ولماذا لا يكون الكاتب والقارئ من هذه النوعية الراقية؟ ليتنا جميعًا نكون كذلك.

الحياة الأبدية

في آية الإنجيل الذهبية، (يو٣: ١٦) يقول رب المجد: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ».

إن من حق كل تائب راجع إلى الله مؤمنًا بشخص المسيح وكفاية عمله فوق الصليب أن ينال هذه «الحياة الأبدية». لكن ما هي الحياة الأبدية؟

إنها نوع من الحياة ليست مجرد كمية لا نهائية منها. إنها حياة الله نفسه التي رأيناها وشاهدناها عند تجسد الابن، ربنا المعبود يسوع المسيح. يقول الكتاب: «فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ (الآب) وَأُظْهِرَتْ لَنَا» (١يو١: ٢). ويقول المسيح: «وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يو١٧: ٣). هذا هو الإلهي والحق والحياة الأبدية.

إن هذه الحياة الأبدية التي رأيناها في مجد روعتها، في محبتها وقداستها، في سموها وعظمتها، في كل خصائصها الفائقة في تجسد الابن، هي لنا نحن المؤمنين بالمسيح نصيبًا لحظيًا معاشًا قبل أن ندخل الأبدية التي هي أكمل جو تستعلن فيه فضائل هذه الحياة فينا بلا عوائق أو معطلات.